العَلامَةُ فِي التُراثِ العَربِي الإسلامِي

أمجد محمد حسن عبد الرحيم
مدرية تربية بابل / متوسطة الظفر للبنين
2014Hamada@yahoo.Com

الخلاصة

العَلامة في التراث العربي الإسلامي : أولت الحضارة العربية الإسلامية موضوع العلامة أهمية كبرى لأنـــه موضوع حساس ارتبط بنشوء النحو العربي ، الذي كان الهدف من نشوئه هو خدمة القرآن الكريم الذي يعد المصدر الأول للتشريع عند المسلمين كافة ، وبوساطتها يمكن فهم النص القرآني الشريف واستنباط الأحكـــام الشرعية،التي تنظم حياة الفرد والمجتمع وتعمل على نشر الازدهار والسعادة والاستقرار في أرجـــاء الوجـــود كله. وقد تمثلت هذه الخدمة بصيانة اللغة العربية من التحريف والانقراض،وتضمن الموضـــوع الـــذي نحـــن بصدد الخوض فيه ثلاث مراحل ، هي :

أولاً : المرحلة اللسانية .

ثانياً : المرحلة البيانية .

ثالثاً : المرحلة المنطقية .

الكلمات المفتاحية: نشوء ،القواعد التجريدية،استجلاء، المتأني،ترحيل.

Abstract

The Arab Islamic Civilization has attached great importance to the subject of the mark because it is a sensitive topic associated with the emergence of the Arabic grammar . The goal of its evolution is to serve the Holy Koran. It is the first source of the legislation of all Muslims . By its means it is possible to understand the Holy Koran text and produce the legal provisions that regulate the individual and Community life .

This service works on spreading prosperity , happiness and stability throughout the whole existence . This service has been the maintenance of the Arabic from extinction and distortion .

The topic is going to go into the following three stages :

1/ First , the linguistic stage .

2/ Second , the diagram stage .

3/ Third , the logical stage .

Key words: Emergence, Abstract rules,Clarification,Derived,Deportation

أولاً : المرحلة اللِّسانية

إذا أردنا النظر في المرحلة الأولى من تاريخ علم العلامات العربـــي،فسنجد أنها مرحلـــــة اهتمت بالعـــلامـــة

اللسانية حصراً ، وقد نبع هذا الاهتمام من نشوء الدرس اللساني العربي بين أحضان مجموعة العلوم التي جعلت من القرآن الكريم موضوعها . إلا أن نشوء اللسانيات العربية يشبه إلى حـــد كبير نشـــوء اللسانيـــات اليونانيـــة،من حيث أن الصدام الحضاري بين الثقافات التي انضوت تحت لواء الإسلام،قد أدى إلى مشكلات كثيرة (كان اللحن أبرزها) ظلت تضغط بأوزارها على العقل العربي ، وتدفعه لإيجاد حلول لها . وقد انبرى علماء العربية الأعلام لهذه المشكلات، وبحثوها بشكل يدعو إلى الفخر والاعتزاز .

ويحدد الدكتور تمّام حسّان ثلاثة عوامل أثرت في نشأة البحث اللساني العربي فدفعت إلى دراسة اللغة دراسة منظمة لاستخراج قواعدها ،اتسمت بالضبط وتوافرت فيها خصائص العلم المضبوط كلها. والعوامل الثلاثة هي:

العامل الديني ،والعامل القومي ، والعامل السياسي [١].لقد كانت دراسة القرآن الكريم بوصفه نصاً لغوياً–دينياً ، عماد العامل الديني [٢] ، في حين كانت دراسة الكتاب العزيز ، بوصفه نصاً عربياً يقوم شاهداً على عروبية الثقافة الإسلامية،عماد العامل القومي [٣]. أما العامل السياسي فقد كان يغذيه تنامي نفوذ الموالي في الحاضرة الإسلامية [٤]. وما سيشغلنا في هذه المرحلة والمراحل المقبلة ، هو قضية الدلالة وإنتاج المعنى .

لقد سلّط بعض الباحثين الضوء على روايات تؤكد أن مصحف أبي بكر كان منقوطاً بعلامات تشبه نقط الإعجام التي وضعها نصر بين عاصم **(ت١٢٩ هـ)** إلا أن الخليفة عثمان بن عفان جّرد هذه المصحف من النّقط والشّكل والفواتح والعشور،خوفاً من أن تختلط عند النشء بما هو من القرآن.ويرى آخرون أن العلامات التي احتواها مصحف أبي بكر ،خاصة باللغات التي كان الصحابة يقرؤون بها ،وإن الخليفة الثالث قد جّرد المصحف من هذه العلامات لأنه أراد له أن يقرأ بلهجة قريش [٥].

لقد برزت في عصر أبي الأسود الدؤلي **(ت٦٩ هـ)** ضرورة وضع علامات ومفاتيح تجعل قراءة المصحف الشريف أكثر دقة . وهذه النقط الجديدة عرفت بـ **(نقط الإعراب)** ، وهي التي تعارفنا على تسميتها بالفتحة والضمة والكسرة والسكون. وتروي المدونات أن أبا الأسود الدؤلي اختار رجلاً من عبد القيس ، فقال : " خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد ، فإن فتحت شفتيّ فانقط واحدة فوق الحرف . وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله ، فإن أتبعتُ شيئاً من هذه الحركات غُنّة ، فانقط نقطتين" [٦] .

وإذا كان عمل أبي الأسود قد ارتبط بظاهرة اللحن، فإن عمل نصر بن عاصم المسمّى **(نقط الإعجام)** مرتبط بظاهرة أخرى هي التصحيف. لقد تسبب التصحيف عن غياب النقط عن الحروف المتشابهة كالباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء وغيرها، وتجمع المصادر على أن نقط الإعجام كان بإيعاز من الحجاج بن يوسف الثقفي [٧].

وفي السياق نفسه،حاول الخليل بن أحمد **(ت ١٧٠ هـ)** أن يجري تعديلاً على مشروع أبي الأسود، إذ أبدل بالنقاط حروفاً ترمز للعلامات الموضوعة في أواخر الكلمات،فرمز للفتحة بألف صغيرة توضع فوق الحرف ،وللضمة بواو صغيرة توضع فوق الحرف أيضاً ، فيما رمز للكسرة بياء مشطورة **(ذات شق واحد)** توضع تحت الحرف . وفضلاً عن رموز الحركات استحدث رمزاً للهمزة ، وآخر للتشديد وللإشمام،وللرَّوْم ،وغيرها من الظواهر اللسانية [٨] .

ويمكن القول أن ثنائية **(المعنى/ اللامعنى)** قد نشأت مع مولد المعجمية العربية على يد الخليل،حين افترض وجود اللفظ المهجور أو البائد أو غير المستعمل أو المهمل . إن هذه الألفاظ تحيل مباشرة على معنى غيرمتداول**(اللامعنى)**، أي إننا اصبحنا مع الخليل أمام ثنائيتين **(لفظ/ معنى تداولي)**، و**(لفظ / معنى لاتداولي)**. أما سيبويه فقد تناول ثنائية **(المعنى / اللامعنى)** على صعيد التركيب لا على صعيد الألفاظ المفردة كما تناولها الخليل، فقسم سيبويه الكلام على خمسة أقسام باعتبار المعنى واللامعنى وهي : مستقيم حسن ، ومحال ،ومستقيم كذب ،ومستقيم قبيح ، ومحال كذب ، فأما " المستقيم الحسن فقولك :

أتيتك أمس، وسآتيك غداً . وأماالمحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً ،وسآتيك أمس.وأما المستقيم الكذب فقولك حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه . وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه ،نحو قولك : قد زيداً رأيتَ،وكي زيداً يأتيك وأشباه هذا . وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس" (٩). هكذا تحقق التراكيب الناتجة من الكلام المستقيم الحسن والمستقيم الكذب والمستقيم القبيح معنى ما، في حين تنتمي التراكيب الناتجة من الكلام المحال والمحال الكذب إلى اللامعنى.

هكذا كان التأمل في النص القرآني الشريف دافعاً إلى إيجاد القواعد التجريدية للمقولات اللسانية العربية.ولما كان القرآن الكريم نصاً دالاً،أسس اللسانيون (الاتجاه الاستنباطي) الذي يبني استدلاله على الانتقال من الجزئيات إلى الكليات أي من العلامة إلى العالم ، وهذا اتجاه يعد أحد اتجاهات نظرية العلامات العربية، وهناك اتجاه آخر إلى جانب هذا الاتجاه هو (الاتجاه الاستقرائي) الذي يبني استدلاله على الانتقال من الكليات إلى الجزئيات،وهو الاتجاه الثاني في نظرية العلامات العربية .

ثانياً :المرحلة البيانية

يرتبط نشوء المرحلة البيانية بنشأة علم البيان في تاريخ المعرفة العربية – الإسلامية والذي نقصده بعلم البيان هنا الرؤية الشاملة لموضوع البيان ، تلك التي ارتبطت بمجموعة من العلوم التي أسست لدراسة النص القرآني،واستجلاء جوانبه الاعجازية المتعددة، وإخضاعه بذلك للدراسة العلمية .

وحين يتناول الدكتور كمال أبو ديب بالدرس تصورات الجاحظ لأصناف البيان يقرر حقيقة مهمة تتعلق بدور الباحثين العرب في تأسيس نظرية سليمة ، وعلى الرغم من انه يؤكد بدءاً أن علم العلامات يمكن أن ينسب لـ (سوسير)، من دون تردد كبير، يعود أخيراً ليؤكد أن هذا العلم ، في الواقع ، بلور الجاحظ لأول مرة في التاريخ اللغوي .... ومن الجلي فوراً ، ودون أية إمكانية للتشكيك أو التردد،أن ما يسميه الجاحظ هنا (البيان) هو العلم الذي سماه سوسير (Semiology) (١٠) .

ولكي لا يتهم أبو ديب بالمغالطة اللغوية ، راح يحدد الفرق المعرفي بين المفهوم العربي القديم، والمفهوم المعاصر لهذا العلم ، ليجد أنه فرق منظوري تصوري . يقول: " فيما ركز الجاحظ على غاية العلم،وهي الإبانة والتغيير والإفصاح ، فقد ركز سوسير على مكوّنه الالي وهو العلامة ، لذلك أسماه الأول (البيان)، وأسماه الثاني (العلاماتية)،أو ما ترجمته (السيميائية) ، ثم إن الفرق بين الباحثين والتسميتين هو فرق بين ثقافتين لا بين عالمين فقط ، ثقافة تركز على المعنى وثقافة تركز على المكوّن الشكلي وآليات التشكيل" (١١) .

ومن هذا تتضح الرابطة بين علم البيان (في معناه العام) ، وما صرنا نسميه اليوم (**علم العلامات**) . فمتى نشأ علم البيان إذن ؟

إن كتابة تاريخ علم من العلوم يعني بالتأكيد اللجوء إلى المدونات المبكرة التي يمكن ان توصلنا إلى تحديد زمن النشأة تحديداً علمياً دقيقاً . ولما كانت المدونات التي بين أيدينا لا تكاد تمتد إلى ما قبل مطلع القرن الثالث الهجري،سوف نجعل من هذه اللحظة تاريخاً مبدئياً لنشأة هذه العلم ، على الرغم من قناعتنا بأن لحظة التشكل قد تعود إلى ما قبل هذا التاريخ .

لقد بحث مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) في كتابه (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) كثيراً من لقضايا المتعلقة بتعدد دلالات المفردات والتراكيب والعبارات ، أما الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) فقد عرف البيان قائلاً :" البيان اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول، متشعبة الفروع . فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة

المتشعبة، أنها بيان لمن خوطب بها ، ممن نزل القرآن بلسانه ، متقاربة الاستواء عنده ، وإن كان بعضها أشد تأكيد بيان من بعض . ومختلفة عند من يجهل لسان العرب " (١٢) .

ويبدو أن (البيان) عند الشافعي ، ومن خلال هذا التعريف هو الغاية التي يتوخاها المرسِل (من نزل القرآن بلسانه) ، حين يرسل رسالة ما (القرآن) إلى مستقبِل (من خوطب بها) . ولابد لكي يتحقق الفهم والإفهام ، من أن يملك المستقبل القدرة على إدراك الرسالة،لأن البيان لن يتحقق إن كان المستقبل يجهل لسان العرب .

ولا نكاد نعثر على تصنيف مفصل لوجوه البيان ، نطمئن إليه ، قبل الشافعي ، حتى ليمكن القول أن علم البيان قد تشكل على يد الإمام الشافعي ، لينساقش العلامات اللسانية ثم تكامل على يد الجاحظ بعد إن وسعه ليشمل العلامات غير اللسانية أيضاً ، ولم تكن الجهود التي جاءت بعد الشافعي والجاحظ إلا تنويعات تقوم على أساس إعادة النظر في التصنيفات البيانية التي أرسوها .

والبيان عند الشافعي، وعند الاصوليين عموماً ، مقدمة لاستنباط الحكم الشرعي من الاصول الفقهية . وهذه الاصول أربعة عنده ، وهو يعبرعنها بالعلم قائلاً : " ليس لأحد أبداً أن يقول في شئ – حل أو حرم – إلا من جهة العلم . وجهة العلم الخبر في الكتاب أو السنة ، أو الإجماع ، أو القياس " (١٣). وقد قسم الشافعي درجات البيان في القرآن الكريم على **خمسة** أقسام هي :

البيان الأول :وهو الذي لا يحتاج إلى بيان (١٤).

البيان الثاني : وهو ما في بعضه إجمال بينته السنة (١٥).

البيان الثالث : وهو المجمل الذي بينته السنة (١٦).

البيان الرابع : وهو الذي لم يُنصّ عليه في القرآن وبُيّنَ في السنة (١٧).

البيان الخامس : وهو ما لم يُنصّ عليه ، ويؤخذ بالقياس (١٨).

وإذا ما أردنا اختصار تصنيف الشافعي لوجوه البيان، قلنا أنه قسّم " بيان القرآن إلى قسمين: بيان هو نص فيه،لا يحتاج في بيانه إلى شئ وراءه . وبيان يحتاج إلى السنة ، أما في تفصيل مجمله أو تعيين معنى يحتمله ،أو إرادة الخاص في بعض عمومه (١٩) .

لقد شهد القرن الثالث الهجري نشاطاً غير عادي في مجال الدراسات البيانية . ففضلاً عن المنجز الكبير الذي شيده الشافعي،تطلع علينا جهود ضخمة أخرى كتلك التي أنجزها الفراء (ت٢٠٧هـ)، وأبو عبيدة (ت ٢١١هـ)،والأصمعي (ت ٢١٧ هـ) ، والجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، والمبّرد (ت٢٨٥هـ) ، وثعلب (ت٢٩١ هـ) (٢٠).

أراد الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أن يحدد شروط إنتاج الخطاب البياني من خلال نظرته في مفهوم العلامة أنها تنتمي إلى الخطاب البياني. يقول الجاحظ : " وجعل الله آية البيان التي بها يتعارفون معانيهم، والترجمان الذي إليه يرجعون عند اختلافهم ، في أربعة أشياء، وفي خصلة خامسة وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها فقد تبدَّل بجنسها الذي وضعت له وصرفت إليه.وهذه الخصال هي:اللفظ، والخط ، والإشارة، والعقد ،والخصلة الخامسة : ما أوجد الله من صحة الدلالة ، وصدق الشهادة ، ووضوح البرهان في الأجرام الجامدة والصامتة والساكنة ، التي لا تتبيَّن ولا تحس ، ولا تفهم ولا تتحرك ، إلا بداخل يدخل عليها [هي النُصبة](٢١).

ويكشف هذا النص أن الأنظمة البيانية التي تحقق (الاتصال)عند الجاحظ خمسة هي:اللفظ،والخط ،والإشارة ، والعقد، والنُصبة . وإذا كان نظاما اللفظ والخط ينتميان إلى حقل الاتصال اللساني، فإن الأنظمة الأخرى تنتمي إلى حقل الاتصال غير اللساني .

إن انشغال الجاحظ كان بقضيتي الفهم والإفهام ، فاهتمامه بقضية الفهم كان يفرض عليه متابعة الإمام الشافعي في منهجه التصنيفي – بوصفه نموذجاً منظماً للحقل البياني – لتأسيس قوانين تفسير الخطاب ، في حين أن قضية الإفهام كانت تدفعه إلى أخذ المتلقي بعين الاعتبار، لتحديد شروط إنتاج الخطاب .

إن انشغال الجاحظ بالفهم جعله يمارس دوره التكريسي، بترحيل نموذج الإمام الشافعي من حقل أصول الفقه إلى حقل علوم البيان، من حيث هي (دلالات على معان) [٢٢].لكن انشغال الجاحظ بالإفهام كان يملي عليه ،من جهة ثانية ، الانتماء إلى النزعة التعليمية التي تضع في اعتبارها السامع وأحواله ساعية إلى الترويح عنه وضمان عدم تسرب الملل إليه ، حتى لو اقتضى ذلك إتباع الوسائل الاستطرادية [٢٣].

أما التحول الحاسم الذي أحدثه الجاحظ في تاريخ نظرية العلامات العربية فيكمن في تسليطه الضوء على أنظمة الاتصال غير اللساني للمرة الأولى في تاريخ هذه النظرية ، بشكل يجعل تلك الأنظمة تقف بالتساوي مع أنظمة الاتصال اللساني التي كانت شغل المنظرين العرب الشاغل قبل الجاحظ .

إن المشكلة التي يعانيها الجاحظ تدور حول الإفهام ، كما ذكرنا ، مما يعني أنه كان مجبراً على أخذ القارئ بعين الاعتبار . فيعالج طول الكتاب باللجوء إلى الاستطراد القائم على إيراد النوادر والملح والأخبار الظريفة " ليخرج قارئ هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل " [٢٤]. و" ليُعطى قارئ الكتاب من كل نوع تذهب إليه النفوس نصيباً " [٢٥].

لقد ذهب أرباب المؤسسة البيانية إلى ضرورة الانطلاق من المشروع البياني الجاحظي بعد إجراء التعديلات اللازمة عليه . فهذا ابن وهب الكاتب (ت بعد٣٣٥ هـ) يقول في مطلع كتابه:" أما بعد فإنك كنت ذكرت لي وقوفك على كتاب الجاحظ الذي سماه (كتاب البيان والتبيين) وإنك وجدته إنما ذكر فيه أخباراً منتخلة {= مختارة}، وخطباً منتخبة ، ولم يأت فيها بوظائف البيان ، ولا أتى على أقسامه في هذا اللسان، فكان عندك ما وقفت عليه،غير مستحق لهذا الاسم الذي نسب إليه. وسألتني أن اذكر لك جملاً من أقسام البيان . آتية على أكثر أصوله ، محيطة بجماهير فصوله يعرف بها المبتدئ معانيه ، ويستغني بها الناظر فيه.

وأن اختصر ذلك لئلا يطول به الكتاب " [٢٦]. ولا يكاد أبو هلال العسكري (ت ٣٩٨ هـ) يخالف ابن وهب كثيراً ، إذ مع أن كتاب الجاحظ عنده " كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة،والخطب الرائعة،والأخبار البارعة وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونعوته المستحسنة، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة، وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ،ومنتشرة في أثنائه ،فهي ضالة بين الأمثلة ،لا توجد إلا بالتأمل الطويل ،والتصفح الكثير ، فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام:نثره ونظمه ، ويستعمل في محلوله ومعقوده ، من غير تقصير وإخلال ، وإسهاب وإهذار " [٢٧].

والناظر في نص ابن وهب والعسكري ، يستنتج الآتي :

أ – يريد ابن وهب أن يحدد وظائف البيان ، ويحدد أقسامه (فصوله وأصوله) ، ولا يكاد هدف العسكري يختلف كثيراً ، إذ يطمح إلى رسم حدود البلاغة ، وتحديد أقسام البيان .

ب – ينبغي لمشروع ابن وهب أن يكون مختصراً ، فلا (يطول الكتاب)، ويحاول العسكري أيضاً أن يجانب (الإسهاب والإهذار) .

وإذا كان ابن وهب والعسكري متفقين في الموضوع ومادته ، فإنهما يختلفان مع بعض أرباب البيان في تحديد المادة المدروسة ، وهذا لاختلاف يشير إلى وجود اتجاهين :

١/ اتجاه يركز على بيان اللفظ ، أي على أنظمة الاتصال اللساني، ويعد الرماني (ت ٣٨٦ هـ) وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) من أهم دعاته .

٢/ اتجاه يركز على أصناف البيان كلها ، من غير استثناء ، ويعد ابن وهب الكاتب ، والعسكري والباقلاني (ت٤٠٣ هـ)، والقاضي عبد الجبار الأسد أبادي (ت ٤١٥ هـ) ، وابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) من أهم ممثليه ، وقد حاول أعلام هذا الاتجاه التوفيق بين النظرة الجزئية التي مثّلها الاتجاه الأول ، والنزوع المنطقي الذي تشكل مع الفارابي (٣٣٩هـ) ، وكُرِّسَ مع ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) ، حتى قُيِّدَ له أن يكون اتجاهاً منطقياً خالصاً مع الغزالي (ت ٥٠٤ هـ) . ويمكن القول أن هذه الحقبة انتهت مع بدء القرن السادس الهجري ، أي مع لحظة الغزالي الذي حاول التوفيق بين المنطق والشرع .

ثالثاً :المرحلة المنطقية

إن هذه المرحلة قد تشكلت مع الفارابي وكرست مع ابن سينا ، كما ويعّد الكندي رائد الدراسات المنطقية والفلسفية.

يرى الفارابي أن الإنسان" إذا احتاج أن يعرّف غيره ما في ضميره أو مقصوده بضميره،استعمل الإشارة أولاً في الدلالة على ما كان يريد ممّن يلتمس تفهيمه،إذا كان من يلتمس تفهيمه بحيث يبصر إشارته ، ثم استعمل بعد ذلك التصويت... فيجعل لكل مشار إليه محدود،تصويتاً ما محدوداً،لا يستعمل ذلك التصويت مع غيره" (٢٨) .

والدلالة تتناول عنده اللفظ والصورة الذهنية والأمر الخارجي (المرجع) والكتابة ، بحيث يدل المكتوب على والملفوظ على الصورة الذهنية ، وهذه الأخيرة على المرجع ، هكذا يشكل اللفظ والصورة الذهنية دالاً ومدلولاً في آن واحد ، في حين يكون الخط دالاً غير مدلول عليه والمرجع مدلولاً عليه غير دال (٢٩).

وينبه الفارابي إلى أن " الأشياء التي سبقت معرفتنا بها ، هي الأشياء التي تقدمت خيالاتها في النفس،واعتقد فيها أنها حق .والتي سبقت خيالاتها في النفس هي المعقولات عن الألفاظ ،لا الألفاظ ،والتي تُرَتَّبُ فيشرف منها الذهن هي بهذه الحال . فبيّنٌ أن الأشياء التي ترتبت في الذهن ليست هي الألفاظ لكن معاني معقولة . وأيضاً فإن الأشياء التي شأنها أنْ تُعْلَمَ ، هي الأشياء التي من شأنها أن تكون واحدة عند الجميع ، والألفاظ الدالة ليست واحدة بأعيانها عند الجميع . فبيّن أن المقصود معرفته من الأشياء ،هي الألفاظ الدالة عليها (٣٠) . والمتأمل في

هذا النص يلحظ ما يأتي :

أ – إن الاستدلال يتم بالمعاني – المعقولات لا بالألفاظ ،لأن الأشياء (التي سبقت خيالاتها في النفس،هي المعقولات عن الألفاظ ، لا الألفاظ) .

ب – إن المعاني (التي سبقت معرفتنا بها) هي الأصل، لأنها (تقدمت خيالاتها في النفس) ، أما الألفاظ فهي تابعة لها .

جـ – إن موضوع الاستدلال هو (المعاني – المعقولات) لأن من شأنها أن تكون واحدة عند الجميع ، أما الألفاظ فهي ليست واحدة بأعيانها عند الجميع ، لذلك لا يصح أن تكون موضوعاً للاستدلال .

أما ابن سينا فتنحصر نظرية العلامات لديه في نظرته إلى الموجودات . فالأشياء " إما عين موجودة، أوصورة موجودة في الوهم أو العقل ، مأخوذة عنها ، ولا يختلفان في النواحي والأمم وأما لفظه يدل على الصورة التي في الوهم أو العقل ، معبّرة [عنها]، وأما كتابة دالة على اللفظ ، ويختلفان في الأمم . فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على الصورة الوهمية أو العقلية ، وتلك الصورة دالة على الأعيان الموجودة [٣١].

والناظر في النص يكشف أن العلامة عند ابن سينا كيان مؤلف من أربعة أركان هي :

أ – الموجود العيني المتأتي من وجود الشيء حقيقة .

ب – الموجود العقلي أو الذهني المتأتي من ارتسام الصورة الحقيقية في الذهن .

جـ – الموجود اللفظي ، وهو ألفاظ يعبر بها الإنسان عن الموجودات الذهنية .

د – الموجود الكتابي ، وهي خطوط دالة على الألفاظ .

وإذا كان الموجودان الأول والثاني يتسمان بالثبات، فإن الثالث والرابع يتغيران بتغير الأمم وأحوالها.

ويكشف هذا النص عن التصنيف الثلاثي لأركان العملية الاستدلالية ، للمرّة الأولى في تاريخ نظرية العلامات العربية . فالموجودان اللفظي والكتابي يقابلان (الدال) الذي يحيل على الموجود الذهني،أي:(المدلول). ويحيل هذا الأخير على الموجود العيني ، وهو (المرجع) [٣٢].

وتبدو رؤية ابن سينا لأصناف الموجودات جلية في الأعلام الذين أعقبوه . فالغزالي مثلاً يرى: " أن للشيء وجوداً في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ ، ثم في الكتابة . فالكتابة دالة على اللفظ ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان [٣٣].

وما أن حل القرن السابع الهجري ، حتى استقرت المفاهيم العامة لنظرية العلامات العربية – الإسلامية ،وبدأت مرحلة الحواشي والشروح .

الهوامش

(١) ينظر: الاصول – دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، ٢١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه .

(٣) ينظر: المصدر نفسه . **٢٣ – ٢٤** .

(٤) ينظر: المصدر نفسه .

(٥) ينظر: الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ١٨٦/١ ، و: النشر في القراءات العشر، ابن الجوزي ٣٣/١ وينظر أيضاً : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، د . عبد العال سالم ، ٣٩ ، و: تاريخ النحو وأصوله ، د. عبد الحميد السيد طلب ، ٤١/١.

(٦) إيضاح الوقف والابتداء ، ابن الانباري ، ٤٠ – ٤١.

(٧) تاريخ النحو وأصوله ، ١ / ٣٩.

(٨) ينظر:الفراهيدي:عبقري من البصرة،د.مهدي المخزومي،٤٠،نقلاً عن المقنع، أبو عمر الداني، ١٢٥.

(٩) الكتاب ، سيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ١/ ٢٥ – ٢٦.

(١٠) السيميائية أحدث العلوم الإنسانية (بحث) ، د . كمال أبو ديب ، ٦٢ .

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) الرسالة ، ٢١ .
(١٣) ينظر : المصدر نفسه ، ٣٩.
(١٤) المصدر نفسه :٧٣ – ٨٣ .
(١٥) المصدر نفسه : ٨٤ – ٩١ .
(١٦) ينظر : المصدر نفسه ، ٩٢ – ٩٥ .
(١٧) ينظر : المصدر نفسه ، ٩٦ – ١٠٣
(١٨) ينظر : الرسالة : ١٠٤ – ١٢٥ .
(١٩) الشافعي : حياته وعصره – آراؤه وفقهه ، ٢٠٦
(٢٠) ينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي ، د . عبد القادر حسين .
(٢١)الحيوان ، الجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، ١ /٢٥ .
(٢٢) ينظر : البيان والتبيين ، ١ /٧٦ .
(٢٣) الحيوان ، ٣ / ٦ .
(٢٤) المصدر نفسه ، ٣ / ٧ .
(٢٥) المصدر نفسه ، ٣ / ٣٨
(٢٦) البرهان في وجوه البيان ، ابن وهب الكاتب ، تحقيق : د . أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي .
(٢٧) كتاب الصناعتين : الشعر والكتابة ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،٥ .
(٢٨) كتاب الحروف ، أبو نصر الفارابي ، تحقيق : محسن مهدي ، ١٣٥ .
(٢٩) ينظر : شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة ، تحقيق : و. كاتش ، وس. ماريو ، ٢٥ .
(٣٠) الألفاظ المستعملة في المنطق ، الفارابي ، تحقيق : محسن مهدي ، ١٠١ ، ١٠٢ .
(٣١) النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، ابن سينا ، طبعة محي الدين صبري الكردي ، ١١-١٢.
(٣٢) في السيميائيات العربية ، ١ /٩٥ – ٩٦ .
(٣٣) معيار العلم ، أبو ماجد الغزالي ، ٣٥ – ٣٦ .

مصادر البحث ومراجعه

أثر النحاة في البحث البلاغي ، د . عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ط /١ ، ١٩٧٥م.

الأصول – دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ــ د.تمّام حسّان ـــ دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد ، ط/٢ ، ١٩٨٣م.

الألفاظ المستعملة في المنطق ، الفارابي (أبو نصير محمد بن محمد ت ٣٣٩هـ –٩٥٠م) ، تحقيق : محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٦٨م.

إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن الطيب ت ٤٠٣هـ – ١٠١٣م) ، تحقيق : السيد عزة عطّار الحسيني ، مكتب نشر الثقافة الجديدة ، مصر ، ١٩٧٠م .

البرهان في وجوه البيان،ابن وهب الكاتب (أبو الحسين بن اسماعيل بن سليمان ت بعد ٣٣٥هـ – ٩٤٧م)،تحقيق:د . أحمد مطلوب ، د . خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط / ١ ، ١٩٦٧م .

البيان والتبيين ، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ – ٨٦٩ م)، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، الناشر : مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط/٥ ، ١٩٨٥م .

تاريخ النحو وأصوله ، د . عبد الحميد السيد طلب ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

الحروف،الفارابي ، تحقيق : محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧٠م.

الحيوان،الجاحظ ، تحقيق : عبد السّلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط / ٢ ، ١٩٦٥ م .

الرسالة،الإمام الشافعي (أبو عبدالله محمد ابن إدريس ت ٢٠٤ هـ – ٨١٩م) ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط / ٢ ، ١٩٧٩م .

السيميائية أحدث العلوم الإنسانية ، د . كمال أبو ديب ، مجلة العربي ، الكويت ، ع / ٣٣٤ ، ١٩٨٦ م .

الشافعي ، حياته وشعره – آراءه وفقهه ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط / ٢ ، ١٩٤٨ م

شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة ، الفارابي ، تحقيق : و . كاتش ، س. مارو ، بيروت ، ١٩٦٠م .

الصناعتين ، الشعر والكتابة ، العسكري (أبو هلال بن عبد الله بن سهيل ت٣٩٥هـ – ١٠٠٥م) ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ط / ١ ، ١٩٥٢م .

الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري (جار الله محمود بن عمر ن٥٣٨ هـ – ١١٤٤م) ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار إحيار الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٤٥م .

الفراهيدي : عبقري من البصرة ، د . مهدي المخزومي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠م .

في السيميائيات العربية : قراءة في نصوص قديمة ، د. مبارك حنون ، مجلة دراسات أدبية ولسانية ، الدار البيضاء ، ع /٥ و ٦ ، ١٩٨٦ م .

القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، عبد العال سالم مكرم ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٧٠هـ – ٧٩٦م) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية ، إبن سينا : الشيخ الرئيس (أبو علي الحسين بن عبد الله ت ٤٢٨ هـ – ١٠٣٥م) ، تصحيح : محي الدين صبري الكردي ، مطبعة فرج الله الكردي ، القاهرة ،١٩١٢م .

النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري (أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن علي الدمشقي ت ٨٣٣ هـ – ١٤٢٩ م). المكتبة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .